

المنتقى من كتاب: الفوائد لابن القيم

جمع

فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويخ

حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.. أما بعد : فمن أشهر كتب العلامة ابن القيم رحمه الله كتابه الموسوم بـ " الفوائد " وهو اسم على مسمى, فالفوائد فيه كثيرة, وقد يسر الله الكريم فانتقيت شيئاً منها, أسأل الله أن ينفع بها, ويبارك فيها.

أسباب الانتفاع بالقرآن:

إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]

قوله: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ المراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله. وقوله: ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾ أي: وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام.

وقوله: ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد القلب حاضر غير غائب. فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والخل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفع المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر.

كيف يسوغ لحاكم أن يحكم بمجرد علمه من غير بينة ولا إقرار؟!

أخبر سبحانه. عن أحوال الخلق يوم القيامة وأن كل أحد يأتي الله سبحانه ذلك اليوم ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه، وهذا غير شهادة جوارحه، وغير شهادة الأرض التي كان عليها له وعليه، وغير شهادة رسوله والمؤمنين، فإن الله سبحانه يستشهد على العباد الحفظة والأنبياء والأمكنة التي عملوا عليها الخير والشر، والجلود التي عصوه بها، ولا يحكم بينهم بمجرد علمه، وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، ولهذا أخبر نبيه أنه يحكم بين الناس بما سمعه من إقرارهم وشهادة البينة لا بمجرد علمه، فكيف يسوغ لحاكم أن يحكم بمجرد علمه من غير بينة ولا إقرار؟!

متى شهد العبدُ أن ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله لم يخفهم، ولم يرجهم:

متى شهد العبدُ أن ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله وحده يُصرفهم كيف يشاء، لم يخفهم بعد ذلك، ولم يرجهم، ولم يُنزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرفُ فيهم سواهم، والمدبرُ لهم غيرهم.

فمن شهد نفسه بهذا المشهد، صار فقره وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم، ولم يُعلق أمله ورجاءه بهم، فاستقام توحيدهِ وتوكله وعبوديته.

سؤال الله عز وجل ذهاب الحزن والهم والغم بالقرآن:

قوله صلى الله عليه وسلم: (وأن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي) لما كان الحزنُ والهمُّ والغمُّ يضادُّ حياة القلب واستنارته، سأل أن يكون ذهابها بالقرآن، فإنها أحرى أن لا تعود، وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحةٍ أو دنيا أو جاه أو زوجةٍ أو ولدٍ، فإنها تعود بذهاب ذلك.

الحذر من التكاثر في أي شيء لا يكون في طاعة الله ورسوله:

قوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ أي شغلکم على وجهٍ لا تعذرون فيه... وأعرض عن ذكر المتكاثر به إرادة لإطلاقه وعمومه وأن كلَّ ما يُكاثَر به العبدُ غيره - سوى طاعة الله ورسوله وما يعود عليه بنفع معاده - فهو داخل في هذا التكاثر، فالتكاثر في كل شيء، من مال، أو جاهٍ، أو رئاسة، أو نسوةٍ، أو حديث، أو علم - ولا سيما إذا لم يحتج إليه - والتكاثر في الكتب، والتصانيف، وكثرة المسائل، وتفريعها، وتوليدها، والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم، إلا فيما يُقربُ إلى الله، فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومسابقة إليها.

مشاهد على العبد ملاحظتها إذا جرى له مقدور يكرهه:

إذا جرى على العبد مقدور يكرهه، فله فيه ستة مشاهد:

أحدها: مشهد التوحيد، وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: مشهد العدل، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه.

الثالث: مشهد الرحمة، وأن رحمته في هذا المقدور غالبه لغضبه وانتقامه، ورحمته حشوه

الرابع: مشهد الحكمة، وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك، لم يقدره سدى ولا قضاء عبثاً.

الخامس: مشهد الحمد، وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع الوجوه.

السادس: مشهد العبودية، وأنه عبد محض من كل وجه، تجري عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده، فيُصرفه تحت أحكامه القدريّة كما يصرفه تحت أحكامه الدينيّة، فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه.

أمور تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله:

قلّة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وتُحول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الدُّلّ، وإدالة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهمّ والغمّ، وضنك المعيشة، وكسف البال: تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار، وأضداد هذه تتولد من الطاعة.

- (٦)

مراتب التقوى:

التقوى ثلاث مراتب: **إحداها:** حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.
الثانية: حميتها عن المكروهات. **الثالثة:** الحمية عن الفضول وما لا يعني.
فالأولى تُعطى العبد حياته، والثانية تفيدهُ صحته وقوته، والثالثة تكسبهُ سروره وفرحه وبهجته.

من أعجب الأشياء:

من أعجب الأشياء: أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعية ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأُنس بطاعته، وأن تذوق عُصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه!! وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه وأنتك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض وفيما يبعد عنه راغب.

الاجتماع بالإخوان:

الاجتماع بالإخوان قسمان: **أحدهما:** اجتماع على مؤانسة الطبع وشُغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقلُّ ما فيه أنه يفسد القلب ويُضيع الوقت.
الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات:
إحداها: تزيُّن بعضهم لبعض. **الثانية:** الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.
الثالثة: أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود.

- (٧)

طوبى لمن أنصف ربه:

طوبى لمن أنصف ربه فأقرَّ له بالجهل في علمه والآفات في عمله، والعيوب في نفسه، والتفريط في حقه، والظلم في معاملته، فإن أخذهُ بذُنُوبه رأى عدله، وإن لم يؤاخذه بما رأى فضله، وإن عمل حسنة رآها من منته وصدقته عليه، فإن قبلها فمنة وصدقة ثانية، وإن ردّها فلكون مثله لا يصلح أن يواجه به، وإن عمل سيئة رآها من تخليه عنه، وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه، وذلك من عدله فيه، فيرى في ذلك فقره إلى ربه، وظلمه في نفسه، فإن غفرها له، فبمحض إحسانه وجوده وكرمه.

الإنسان مولع بحبِّ العاجل وإن كان دينياً، وبقلّة الرغبة في الآجل وإن كان علياً:

والعبدُ - لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه - لا يعرف التفاوت بين ما مُنِعَ منه وبين ما دُخِرَ له، بل هو مولع بحبِّ العاجل وإن كان دينياً، وبقلّة الرغبة في الآجل وإن كان علياً.

ولو أنصف العبد ربه - وأتّى له بذلك - لعَلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليُعْطيه، ولا ابتلاه إلا ليُعاقبه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجَه إلى هذه الدار إلا ليتأهّب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلَة إليه.

أصول الخطايا:

أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبرُ: وهو الذي أصرَّ إبليس إلى ما أصرَّه، والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسدُ: وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم على أخيه، فمن وقى شرَّ هذه الثلاثة فقد وقى الشرَّ، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد.

مجاهدة النفس تُذهب أخلاقها المذمومة:

سبحان الله في النفس : كبرُ إبليس, وحسد قابيل, وعُتُو عاد, وطغيانُ ثمود, وجراًة نمرود, واستطالة فرعون, وبغي قارون, وقحة هامان, وحيل أصحاب السبت, وتمردُ الوليد, وجهل أبي جهل

وفيهما من أخلاق البهائم : حرص الغراب, وشره الكلب, ورعونة الطاووس, ودناءة الجعل, وعقوق الضب, وحقد الجمل, ووثوب الفهد, وصولة الأسد, وفسقُ الفارة, وخُبثُ الحية, وعبث القرد, وجمع النملة, ومكر الثعلب, وخَفَّةُ الفراش, ونوم الضبع, غير أنُ الرياضة والمجاهدة تُذهبُ ذلك.

من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته:

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحَمَلَ عنه كلَّ ما أهُمَّهُ وفرَّغ قلبه لمحَبته ولسانه لذكره وجوارحه لطاعته وإن أصبح وأمسى والدنيا هُمُّه حَمَلَهُ اللهُ هُمومها وغُمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم .. فكل من أعرض عن عبودية الله...ومحبته بُلي بعبودية المخلوق وخدمته.

هجر القرآن:

هجر القرآن أنواع : **احدها** : هجرُ سماعه, والإيمان به, والإصغاء إليه.

الثاني: هجرُ العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه, وإن قرآه وآمن به.

الثالث: هجرُ تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

الرابع: هجرُ تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس: هجرُ الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها.

حقيقة العبودية:

من عرف نفسه عرف ربه، فإنه من عرف نفسه بالجهل والظلم والعيب والنقائص والحاجة والفقر والدُّل والمسكنة والعدم، عرف ربه بضد ذلك، فوقف بنفسه على قدرها، ولم يتعد بما طورها، وأثنى على ربه ببعض ما هو أهله، وانصرفت قوة حُبِّه وخشيته ورجائه وإنابته وتوكله إليه وحده، وكان أحبَّ شيء إليه وأخوف شيء عنده وأرجاه له، وهذا هو حقيقة العبودية. والله المستعان.

الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما تُوجبه الشهوة:

قال رحمه الله : الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما تُوجبه الشهوة فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب مالاً بقاءه خيراً له من ذهابه، وإما أن تضيع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألدُّ وأطيب من قضاء الشهوة.. وإما أن تجلب همّاً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب الشهوة وإما أن تنسي علماً ذكره ألدُّ من نيل الشهوة وإما أن تُشمتَّ عدواً وتخزن ولياً وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول.

الأصول التي تُبنى عليها سعادة الإنسان:

الأصول التي انبنى عليها سعادة العبد ثلاثة: ولكل واحد منها ضد، فمن فقد ذلك الأصل حصل على ضده: التوحيد وضده الشرك، والسنة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية، ولهذه الثلاثة ضد واحد، وهو: خُلُو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده ومن الرهبة منه ومما عنده.

أشياء ضائعة لا ينتفع بها:

عشرة أشياء ضائعة لا يُنتفع بها: علم لا يُعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والإنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيّد برضى المحبوب وامتنال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وفرة، وفكر يحول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تُقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إثارة الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصالح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء.

من لطائف التعبد بالنعم:

عبودية النعم معرفتها والاعتراف بها أولاً، ثم العياد به أن يقع في قلبه نسبتها وإضافتها إلى سواه وإن كان سبباً من الأسباب فهو مسببه ومقيمها، فالنعمة منه وحده بكل وجه واعتبار ثم الثناء بها عليه ومحبتة عليها وشكره بأن يستعملها في طاعته... ومن لطائف التعبد بالنعم أن يستكثر قليلها عليه، ويستقل كثير شكره عليها، ويعلم أنها وصلت إليه من سيده من غير ثمن بذله فيها، ولا وسيلة منه توصل بها إليه، ولا استحقاق منه لها، وأنها لله في الحقيقة لا للعبد، فلا تزيد النعم إلا انكساراً وذلاً وتواضعاً ومحبةً للمنعم.

السبيل للراحة من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات:

من.. علم أن الله على كل شيء قدير, وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير, وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه, وأنه أعلم بمصلحته من العبد, وأقدر على جلبها وتحصيلها منه, وأنصح للعبد منه لنفسه, وأرحم به منه لنفسه, وأبرُّ به منه بنفسه, وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة, فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر, فألقى نفسه بين يديه, وسلَّم الأمر كله إليه, وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر, له التصرف في عبده بكل ما يشاء, وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه, فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات, وحمل كُله وحوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا تُثقله ولا يكثرُ بها, فتولاها دونه, وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها, من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه, لأنه صرف اهتمامه كله إليه, وجعله وحده همه, فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه, وفرَّغ قلبه منها, فما أطيب عيشه! وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه.

وإن أبي إلا تدبيره لنفسه, واختياره لها, واهتمامه بحظه, دون حق ربه, خلاه وما اختاره, وولاه ما تولى, فحضره الهمُّ, والغمُّ, والحزنُّ, والنكدُّ, والخوف, والتعب, وكسفُ البال, وسوءُ الحال, فلا قلب يصفو, ولا عمل يزكو, ولا أمل يحصل, ولا راحة يفوز بها, ولا لذة يتنهأ بها, بل قد حيل بينه وبين مسرته, وفرحه, وقرّة عينه, فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش, ولا يظفر منها بأمل, ولا يتزود منها لمعاد.

خطورة الكذب وأثره في فساد الأعمال:

إياك والكذب، فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه، ويُفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس.

فإن الكاذب يُصورُ المعدوم موجوداً والموجود معوماً، والحقّ باطلاً، والباطل حقاً، والخير شراً والشرّ خيراً، فيفسدُ عليه تصوره وعلمه عقوبةً له، ثم يُصور ذلك في نفس المخاطب المغتر به الراكن إليه، فيفسدُ عليه تصوره وعلمه.

وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها... فيُعمّ الذنب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد ويتزامي داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدق يقلع تلك المادة من أصلها

ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها أصل الكذب، فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فممنشؤه الصدق، وكل عمل فاسدٍ ظاهرٍ أو باطن فممنشؤه الكذب.. والله يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه، ويثبت الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب.

أعظم ما يُدفع به الغضب:

قلع الغضب بمعرفة النفس وأنها لا تستحقُّ أن يغضب لها وينتقم لها، فإن ذلك إثارة لها بالرضى والغضب على خالقها وفاطرها. وأعظم ما تدفع به هذه الآفة أن يُعوّدها أن تغضب له سبحانه وترضى له، فكلما دخلها شيء من الغضب والرضى له خرج منها مقابله من الغضب والرضى لها، وكذا بالعكس.

للأخلاق حد متى جاوزته صارت عدواناً:

للأخلاق حد متى جاوزته صارت عدواناً، ومتى قصرت عنه كان نقصاً ومهانةً. فللغضب حد، وهو الشجاعة المحمودة والأنفة من الرذائل والنقائص، وهذا كماله، فإذا جاوز حده تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه جبن ولم يأنف من الرذائل. للحرص حد، وهو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ منها، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرهاً ورغبةً فيما لا تحمد الرغبة فيه وللحسد حد، وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءةً وضعفَ همةٍ وصغرَ نفس.

وللشهوة حد، وهو راحة القلب والعقل من كدِّ الطاعة واكتساب الفضائل والاستعانة بقضائها على ذلك، فمتى زادت على ذلك صارت نهمَةً وشبقاً، والتحقيق صاحبها بدرجة الحيوانات، ومتى تقصت عنه ولم يكن فراغاً في طلب الكمال والفضل كانت ضعفاً وعجزاً ومهانةً.

وللراحة حد، وهو إجمام النفس والقوى المدركة الفعالة للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل... بحيث لا يضعفها الكدُّ والتعبُ ويضعف أثرها، فمتى زاد على ذلك صار توانياً وكسلاً وإضاعةً وفات به أكثر مصالح العبد، ومتى نقص عنه صار مُضراً بالقوى موهناً لها، وربما انقطع به، كالمُنبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. والجلود له حد بين طرفين، فمتى جاوز حده صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيراً.

وللشجاعة حد، متى جاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جُنباً وخوراً، وحدّها الإقدام في مواضع الإقدام والإحجام في مواضع الإحجام. والغيرة لها حد، إذا جاوزته صارت قهمةً وظناً سيئاً بالبريء، وإن قصرت عنه كانت تغافلاً ومبادئ دياثة.

وللتواضع حد، إذا جاوزه كان ذلاً ومهانةً، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر. وللعز حد، إذا جاوزه كان كبراً وخُلُقاً مذموماً، وإن قصّر عنه انحرف إلى الدُّلّ والمهانة.

وضابط هذا كُله العدل، وهو الأخذ بالوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصالح البدن إلا به.

ما يسهل الإخلاص على الإنسان:

لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوث.

فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح، سهل عليك الإخلاص.

وذبح الطمع يسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شيء يُطمع فيه إلا وبید الله وحده خزائنه، لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه.

والزهد في الثناء والمدح يسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضر ذمّه ويشين إلا الله وحده.

- (١٥)

من كلام الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

- * السعيد من وعظ بغيره.
 - * خير الزاد التقوى.
 - * خير الغني غني النفس.
 - * شر العمى عمى القلب.
 - * شر المأكل مال اليتيم.
 - * شر الندامة ندامة يوم القيامة.
 - * شر المكاسب كسب الربا.
 - * شر الضلالة الضلالة بعد الهدى.
 - * شر الروايا روايا الكذب.
 - * ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى.
 - * رب شهوة تُورث حزناً طويلاً.
 - * لو سخرت من كلباً لخشيتُ أن أحول كلباً.
 - * من أُعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه.
 - * ما على وجه الأرض شيء أحوج على طول سجن من لسان.
 - * إن كنتم لا بدّ مقتدين فاقنّوا بالميت، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.
 - * ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يُفتح له.
 - * من أُعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه.
 - * المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة.
 - * إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة.
- (١٦)-
- * إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها.

* إن للقلوب شهوة وإدباراً فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها.

* ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية.

* إنكم ترون الكافر من أصبح الناس جسماً وأمريضهم قلباً، وتلقون المؤمن من أصبح الناس قلباً وأمريضهم جسماً، والله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون الله من الجعلان.

* مع كل فرح ترحه، وما ملئ بيت حبرة إلا ملئ عبرة.

* يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم التلاوم بينهم، يُسمون الأنتان.

* الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وييء.

* إذا ظهر الزنى والرِّبَا في قرية أُذن بهلاكها.

* من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس، ولا تناله السرَّاق فليفعل، فإن قلب الرجل مع كنزه.

* لا يكن أحدكم إمعةً ! قالوا: وما الإمعة ؟ قال: يقول: أنا مع الناس ! إن اهتمدوا اهتمدوا، وإن ضلوا ضللت.

* من جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان قريباً حبيباً.

* اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجده في هذه المواطن، فسل الله أن يمن عليك بقلب، فإنه لا قلب لك.

-(١٧)

بعض آثار وثمار ترك الذنوب في الدنيا:

لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانسراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهمّ والغم والحزن، وعزّ النفس عن احتمال الأذى، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسرَ على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم، والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تُلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أُوذي وظلم، وذُبُّهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقُرب الملائكة منه، وبعدُ شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس في خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت بل يفرح به لقدمه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغرُ الدُّنيا في قلبه، وكِبَرُ الآخرة عنده، وحرصُهُ على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوقُ حلاوة الطاعة، ووجدُ حلاوة الإيمان، ودعاءُ حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرحُ الكاتِبين به ودعائُهُم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجهٍ من الوجوه. فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا.

- (١٨)

فإذا مات تلقّته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حُزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها، إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة.

فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحرِّ والعَرَقِ، وهو في ظلِّ العرش.
فإذا انصرفوا من بيدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين.
و ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [الحديد: ٢١]

الناس والذات:

لذة كل أحدٍ على حسب قدره وهمته وشرف نفسه.
فأشرف الناس نفساً وأعلاهم همّةً وأرفعهم قدراً من لذته في معرفة الله ومحبته والشوق
إلى لقائه والتوحد إليه بما يحبه ويرضاه، فلذته في إقباله عليه وعكوف همته عليه.
ودون ذلك مراتب لا يُحصيها إلا الله، حتى تنتهي إلى من لذته في أحسن الأشياء من
القاذورات والفواحش في كل شيء من الكلام والفعال والأشغال، فلو عرض عليه ما
يلتذ به الأول لم تسمح نفسه بقبوله ولا الالتفات إليه وربما تأملت من ذلك، كما أن
الأول إذا عرض عليه ما يلتذ به هذا لم تسمح نفسه به ولم تلتفت إليه ونفرت نفسه
منه.

وأكمل الناس لذةً من جُمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن، فهو يتناول لذاته
المباحة على وجهٍ لا ينقُص حظه من الدار الآخرة ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة
والأنس بربه.

-(١٩)-

عدم الأمن من مكر الله:

الذي يخافه العارفون بالله من مكره:

أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال, فيحصل منهم نوع اغترارٍ, فيأنسوا بالذنوب, فيجئهم العذاب على غرّة وفترة.

وأمر آخر: وهو أن يغفلوا عنه وينسوا ذكره, فيتخلى عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته, فيُسرع إليهم البلاء والفتنة, فيكون مكرهم بهم تخليه عنهم. وأمر آخر: أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم ما لا يعلمونه من نفوسهم, فيأتهم المكر من حيث لا يشعرون.

وأمر آخر: أن يمتحنهم ويبتليهم بما لا صبر لهم عليه, فيفتنون به, وذلك مكر.

معرفة الله سبحانه:

معرفة الله سبحانه نوعان:

الأول: معرفة إقرار, وهي التي يشترك فيها الناس, البر والفاجر, والمطيع والعاصي.
والثاني: معرفة تُوجب الحياء منه, والمحبة له وتعلق القلب به, والشوق إلى لقائه, وخشيته والإنابة إليه, والأنس به والفرار من الخلق إليه.

ولهذه المعرفة بابان واسعان: باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها, والفهم الخاص عن الله ورسوله. والباب الثاني: التفكير في آياته المشهودة, وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه.

وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنی وجلالها وكمالها وتفرد به بذلك وتعلقها بالخلق والأمر, فيكون فقهياً في أوامره ونواهيه, فقهياً في قضائه وقدره, فقهياً في أسمائه وصفاته, فقهياً في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري.

- (٢٠)

إياك أن تُمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك:

إياك أن تُمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه، ويُلقِي إليك أنواع الوسوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك، والذي يلقيه الشيطان في النفس لا يخرج عن الفكر فيما كان... لو كان على خلاف ذلك، وفيما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

أو في خيالات وهمية لا حقيقة لها، أو فيما لا سبيل إلى إدراكه من أنواع ما طوي عنه علمه. فيلقيه في تلك الخواطر التي لا يبلغ منها غاية ولا يقف منها على نهاية، فيجعل ذلك مجال فكره ومسرح وهمه.

وجماع إصلاح ذلك: أن تشغل فكرك... بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها وبالجملة فالقلب لا يخلو قط من الفكر: إما في واجب آخرته ومصالحها، وإما في مصالح دنياه ومعاشه، وإما في الوسوس والأمانى الباطلة والمقدرات المفروضة.

الدراهم أربعة:

درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله، فذاك خير الدراهم.
ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله، فذاك شر الدراهم.
ودرهم اكتسب بأذى المسلم وأخرج في أذى مسلم، فهو كذلك.
ودرهم اكتسب بمباح وأنفق في شهوة مباحة، فذاك لا له ولا عليه.

- (٢١)

ليس في الوجود ما يُحب لذاته ويُحمد لذاته إلا الله جل جلاله:

ليس في الوجود ما يُحِبُّ لذاته ويُحَمِّدُ لذاته إلا هو سبحانه، وكل ما يُحِبُّ سواه، فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله فمحبته صحيحة، وإلا فهي محبة باطلة، وهذا هو حقيقة الإلهية، فإن الإله الحق هو الذي يُحِبُّ لذاته ويُحَمِّدُ لذاته، فكيف إذا انضاف إلى ذلك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبره ورحمته؟! فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله، وأن يعلم أنه لا يُحَسِّنُ على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو، فيحبه لإحسانه وإنعامه ويحمده على ذلك، فيحبه من الوجهين جميعاً.

إذا أراد الله بالعبد خيراً:

إذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرّفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكرها قيداً يُقَيِّدُها به حتى لا تشرّد، فإنها تشرّد بالمعصية وتُقيّدُ بالشكر. ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصّره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها.

* إذا أراد الله بعبده خيراً جعله معترفاً بذنبه ممسكاً عن ذنب غيره، جواداً بما عنده زاهداً فيما عند غيره، محتملاً لأذى غيره، وإن أراد به شراً عكس ذلك عليه.

* إذا أراد الله بعبده خيراً أشهده منته وتوفيقه وإعانتة له في كل ما يقوله ويفعله، فلا يُعجب به، ثم أشهده تقصيره فيه، وأنه لا يرضى لربه به، فيتوب إليه منه ويستغفره ويستحيي أن يطلب عليه أجراً، وإذا لم يُشهِدْ ذلك، وغيبه عنه، فرأى نفسه في العمل، ورآه بعين الكمال والرضى، لم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرضى والمحبة.

- (٢٢)

أنفع الناس لك وأضرهم عليك:

أنفع الناس لك رجل مكنك من نفسه حتى تزرع فيه خيراً أو تصنع إليه معروفاً، فإنه نعم العون لك على منفعتك وكمالك، فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر.

وأضر الناس عليك من مكن نفسه منك حتى تعصي الله فيه، فإنه عون لك على مضرتك ونقصك.

فوائد متفرقة:

* قد أخبر سبحانه عن اختصام الكفار والشیاطین بین یدیه فی سورتي الصافات والأعراف، وأخبر عن اختصام الناس بین یدیه فی سورة الزمر، وأخبر عن اختصام أهل النار فیها فی سورة الشعراء، وسورة ص.

* إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

* الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة، فكيف بغم العمر؟

* أعظم الريح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو...أنفع لها في معادها

* المخلوق إذا خفته استوحشت منه وهربت منه، والرب تعالى إذا خفته أنست به وقربت إليه.

* للبعد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

* المكروه الوارد على القلب: إن كان من أمرٍ ماضٍ أحدث الحزن، وإن كان من مستقبلٍ أحدث الغم، وإن كان من أمرٍ حاضرٍ أحدث الغم. والله أعلم

-(٢٣)

* كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة!؟

* لو نفع العلم بلا عمل, لما ذمَّ الله سبحانه أحمال أهل الكتاب, ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذمَّ المنافقين.

* العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رمالاً يثقله ولا ينفعه.

* من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه, وقَّره في قلوب الخلق أن يُذلوه.

* على قدر خوفك من غير الله يُسلط عليك.

* كل خارج من الدنيا : إما تخلص من الحبس, وإما ذاهب إلى الحبس.

* فرِّغ خاطرك للهيم بما أمرت به, ولا تشغله بما ضُمن لك, فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان, فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً, وإذا سدَّ عليك بحكمته طريقاً من طرقه, فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه.

* كل علم لا يضُرُّ الجاهل به, فإنه لا ينفع العلم به, وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستعيز بالله من علم لا ينفع, وهذا حال أكثر العلوم الصحيحة المطابقة التي لا يضُرُّ الجاهل بها شيئاً. كالعلم بالفلك ودقائقه ودرجاته وعدد الكواكب ومقاديرها, والعلم بعدد الجبال وألوانها ومساحتها.

* سرُّ التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده.... فتوكل اللسان شيء, وتوكل القلب شيء... فقول العبد: توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله: ثُبْتُ إلى الله وهو مُصر على معصيته مرتكب لها.

* من علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيدَ في علمه زيدَ في تواضعه ورحمته وكلما زيدَ في عمله زيدَ في خوفه وحذره, وكلما زيدَ في ماله زيدَ في سخائه وبذله, وكلما زيدَ في قدره وجاهه زيدَ في قربه من الناس وقضاء حوائجهم, والتواضع لهم

-(٢٤)-

* كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا.

* من علامات الشقاوة : كلما زيدَ في عمره زيدَ في حرصه
وكلما زيدَ في علمه زيدَ في كبره وتيهه.... وكلما زيدَ في ماله زيدَ في بخله وإمساكه,
وكلما زيدَ في عمله زيدَ في فخره واحتقاره للناس وحسن ظنه بنفسه.
وكلما زيدَ في قدره وجاهه زيدَ في كبره وتيهه.

* من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس.
* دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهةٍ أورثت شكاً في دين الله, وباب شهوةٍ أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته, وباب غضب أورثت العدوان على خلقه.

* أصول المعاصي كلها - كبارها وصغارها - ثلاثة: تعلق القلب بغير الله, وطاعة القوة الغضبية, والقوة الشهوانية.
وهي: الشرك, والظلم, والفواحش.
* كلما كان القلب أضعف توحيداً وأعظم شركاً كان أكثر فاحشةً وأعظم تعلقاً بالصور وعشقا لها.

* من صحت له معرفة ربه والفقهِ في أسمائه وصفاته, علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والحن التي تنزل بها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه, بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب, فعمامة مصالح النفوس في مكروهااتها, كما أن عامة مضارها وأسباب هلكتها في محبوباتها.

* الجاهل يشكو الله إلى الناس, وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكُو إليه, فإنه لو عرف ربه لما شكاه, ولو عرف الناس لما شكوا إليهم.

- * من أحدث قبل السلام بطل ما مضى من صلاته, ومن أفطر قبل غروب الشمس ذهب صيامه ضائعاً, ومن أساء في آخر عمره لقي وجهه بذلك الوجه.
- * اجتنب من يُعادي أهل الكتاب والسنة لئلا يُعديك خُسرانه.
- * احترز من عدوين هلك بهما أكثر الخلق: صاد عن سبيل الله بشُبُهاته وزُخرف قوله, ومفتون بدُنياه ورئاسته.
- * إذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس, ويبيع العظيم بالحقير, فاعلم أنه سفيه
- * من استطال الطريق ضعف مشيُّه.
- * يا أقدام الصبر! احملني ! بقي القليل.
- * تَذَكَّرْ حلاوةَ الوصالِ يَهْنُ عليك مُرُّ المجاهدة.
- * من لاح له كمال الآخرة هان عليه فراق الدنيا.
- * لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا.
- * التوبة من الذنب كشرب الدواء للعليل.
- * لولا تقدير الذنب هلك ابن آدم من العجب.
- * لو تغذى القلبُ بالمحبة, لذهبت عنه بطنة الشهوات.
- * لو صحَّت محبتك لاستوحشت ممن لا يُذكرك بالحبيب.
- * لو كان في قلبك محبة, لبان أثرها على جسدك.
- * ليس العجب من قوله: ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] إنما العجب من قوله ﴿يُحِبُّهُمْ﴾
- * ليس العجب من فقير مسكين يُحِبُّ محسناً إليه, إنما العجب من محسنٍ يحِبُّ فقيراً
- * التوفيق أن لا يكللك الله على نفسك, والخذلان أن يخلي بينك وبين نفسك.
- * كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد, وكل شرٍّ فأصله خذلانه لعبد.

* ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله.

* خلقت النار لإذابة القلوب القاسية.

* إذا قسا القلب قحطت العين.

* قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة.

* القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ.

* قوله صلى الله عليه وسلم: (لم يبقَ بينه وبينها إلا ذراع).. لما كان العمل بآخره وخاتمته، لم يصبر هذا العامل على عمله حتى يتم له، بل كان فيه آفة كامنة ونكتة خُذِلَ بها في آخر عمره، فخانتته تلك الآفة والداهية الباطنة في وقت الحاجة، فرجع إلى موجبها، وعملت عملها، ولم لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه كفوفاً وردةً مع صدقه فيه وإخلاصه بغير سبب منه يقتضي إفساده عليه، والله يعلم من سرائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض.

* من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.

* لا بدَّ من نفوذ القدر، فاجنح للسلم.

* من عشق الدنيا نظرت إلى قدرها عنده، فصيرته من خَدَمها وعبيدها وأذلته، ومن أعرض عنها نظرت إلى كبر قدره، فخدمته وذلت له.

* لا تدخل محبة الله في قلب فيه حبُّ الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سمِّ الإبرة.

* كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق، في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه، لأن أحكام الربِّ سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس.

* الكتب كثيرة جداً، والكلام والجدال والمقدراتُ الذهنية كثيرة، والعلم بمعزلٍ عن أكثرها، وهو ما جاء به الرسول عن الله... ولما بعد العهد بهذا العلم، آل الأمر بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح الخواطر والآراء علماً، ووضعوا فيها الكتب، وأنفقوا فيها الأنفاس، فضيعوا فيها الزمان، وملئوا بها الصحف مداً، والقلوب سواداً.

* أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان. ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١]

* القلب يمرضُ كما يمرضُ البدن، وشفأؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرأة وجلأؤه الذكر، ويعرى كما يعرى الجسم وزينته التقوى، ويجوعُ ويظمأُ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة.

* إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، فأما من تركها صادقاً مخلصاً من قلبه لله، فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة، ليُمْتَحَنَ أصادق هو في تركها أم كاذب؟ فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة.

* قولهم: "من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه" حق. والعوضُ بأنواع مختلفة، وأجل ما يعوض به: الأنسُ بالله، ومحبتة، وطمأنينة القلب به، وقوته، ونشاطه، وفرحه، ورضاه عن ربه تعالى.

* دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها.

* أفضل الزهد إخفاء الزهد.

* أغشى الناس من ضلَّ في آخر سفره وقد قارب المنزل.

* لا تستصعب مخالفة الناس والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك، فإن الله معك، وأنت بعينه وكلاءته وحفظه لك، وإنما امتحن يقينك وصبرك.

* ليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان، بل الذكر القلبي واللساني، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيهِ، وذكره بكلامه.

* الشكر للقلب محبة وإنابة، ولللسان ثناءً وحمداً، وللجوارح طاعةً وخدمة.

* كن في الدنيا كالنحلة: إن أكلت أكلت طيباً، وإن أطعمت أطعمت طيباً، وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه.

* خاصة العقل تحملُ الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبه من الألم العظيم والشر الطويل.

* العاقل الكيس دائماً ينظر إلى الغايات من وراء سُتور مبادئها، فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعام لذيذ قد خلط فيه سم قاتل، فكلما دعتَه لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواء كريحه المذاق مُفضٍ إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهةً مذاقه عن تناوله أمره نفعه بالتناول.

* الفخرُ والبطرُ والعُجبُ والحسدُ والخِيلاءُ والظُلُمُ والقسوةُ والتجبرُ والإعراض وإباء قبول النصيحة والاستثثارُ وطلب العلوِّ وحب الجاه والرئاسة وأن يُحمد بما لم يفعل وأمثال ذلك، كلها ناشئة من الكبر.

* الكذبُ والخسةُ والخيانةُ والرياءُ والمكرُ والخديعةُ والطمعُ والفرغُ والجبنُ والبخلُ والعجزُ والكسلُ والدُّلُّ لغير الله واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو نحو ونحو ذلك، فكلها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

* الذي يغلبُ شهوته وغضبه يفرقُ الشيطان من ظله, ومن تغلبه شهوته وغضبه يفرقُ من خياله.

* إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا, قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة, وإذا رضيت بموائد الدنيا, فاتتها تلك الموائد.

* من شغل بنفسه شغل عن غيره, ومن شغل بربه شغل عن نفسه.

* اتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد, فإن تباع الهوى يُعمي عن الحق معرفة وقصداً, وطول الأمل يُنسي الآخرة ويصُدُّ عن الاستعداد لها.

* النفس كلما وسعت عليها ضيقت على القلب حتى تصير معيشته ضنكاً, وكلما ضيقت عليها وسَّعت على القلب حتى ينشرح وينفسح.

* العارف.. يأمر الناس.. بترك الذنوب... فإن صعب عليهم ترك الذنوب, فاجتهد أن تحب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله, فإن القلوب مفطورة على محبته, فإذا تعلق بجبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها.

* المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال, ومواساة بالجاه, ومواساة بالبدن والخدمة, ومواساة بالنصيحة والإرشاد, ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم, ومواساة بالتوجع لهم.

* كل نفس تميل إلى ما يناسبها ويشاكلها, وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلْ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤] أي: على ما يشاكله ويناسبه.

* هو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة يُبغضُ القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة, فيبغض القبيح وأهله, ويحب الجمال وأهله.

-(٣٠)-

* أشقِ البدنَ بنعيم الروح، ولا تُشقِ الروح بنعيم البدن ! فإن نعيم الروح وشقاءها أعظم وأدوم، ونعيم البدن وشقاؤه أقصر وأهون.

* من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره، فإنك تُوقر المخلوق وتُجَلُّه أن يراك في حال لا تُوقر الله أن يراك عليها!....ومن كان كذلك فإن الله لا يُلقي له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبةً، بل يسقط وقاره وهيئته من قلوبهم، وإن وقروه مخافة شره، فذاك وقار بغض لا وقار حب.

* على قدر قرب قلبك من الله تبعد من الأنس بالناس ومساكنتهم.

* من صدَقَ الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره.

* من سمع بالمثلات والعقوبات والآيات في حق غيره ليس كمن رآها عياناً في غيره، فكيف بمن وجدها في نفسه؟! ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣] فأياته في الأفاق مسموعة معلومة، وآياته في النفس مشهودة مرئية، فعياًذاً بالله من الخذلان.

* الطالب الصادق في طلبه كلما نقص شيء من دنياه جعله زيادة في آخرته، وكلما منع شيئاً من لذات دنياه جعله زيادة في لذات آخرته، وكلما ناله هم أو حزن أو غم جعله في أفراح آخرته.

* أفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده.

* التعب بالطاعة ممزوج بالحسن، مثمر للذة، فإذا ثقلت على النفس ففكر في انقطاع تعبها وبقاء حسناتها ولذتها، ووازن بين الأمرين، وآثر الراجح على المرجوح.

* اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها، ثمرة للألم بعد انقضائها، فإذا اشتدت الداعية منك إليها ففكر في انقطاعها وبقاء قبحها وألمها، ثم وزان بين الأمرين، وانظر ما بينهما من التفاوت.

* الناس في الدنيا معذبون على قدر همهم بها.

* الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته، وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله.

* النصيحة لقاح العقل، فكلما قويت النصيحة قوي العقل واستنار.

* قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] جمع في هذا الدعاء بين: حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم الحبه في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشفت عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مرات - ولا سيما مع هذه المعرفة - كشف الله ضره.

* للبعد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هُوّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يؤفّه حقّه شُدّد عليه ذلك الموقف.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
أسباب الانتفاع بالقرآن	٤
كيف يسوغ لحاكم أن يحكم بمجرد علمه من غير بينة ولا إقرار ؟!:	٤
متى شهد العبد أن ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله لم يخفهم، ولم يرجهم	٥
سؤال الله عز وجل ذهاب الحزن والهَمّ والغَمّ بالقرآن	٥
الحذر من التكاثُر في أي شيء لا يكون في طاعة الله ورسوله	٥
مشاهد على العبد ملاحظتها إذا جرى له مقدور يكرهه	٦
أمور تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله	٦
مراتب التقوى	٧
من أعجب الأشياء	٧
الاجتماع بالإخوان	٧
طوبى من أنصف ربه	٨
الإنسان مولع بحبِّ العاجل وإن كان دينياً، وبقِلَّةِ الرغبة في الآجل وإن كان علياً	٨
أصول الخطايا	٨
مجاهدة النفس تذهب أخلاقها المذمومة	٩

- (٣٣)

من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَّ بعبودية المخلوق ومحبه	٩
--	---

	وخدمة
٩	هجر القرآن
١٠	حقيقة العبودية
١٠	الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما تُوجبه الشهوة
١٠	الأصول التي تبنى عليها سعادة الإنسان
١١	أشياء ضائعة لا ينتفع بها
١١	من لطائف التعبد بالنعم
١٢	السبيل للراحة من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات
١٣	خطورة الكذب وأثره في فساد الأعمال
١٣	أعظم ما يدفع به العبد الغضب
١٤	للأخلاق حد متى جاوزته صارت عدوانا
١٥	ما يسهل الإخلاص على الإنسان
١٦	من كلام الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه
١٨	بعض آثار وثمار ترك الذنوب في الدنيا
١٩	الناس واللذات
٢٠	عدم الأمن من مكر الله
٢٠	معرفة الله سبحانه
٢١	إياك أن تُمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك

- (٣٤)

٢١	الدراهم أربعة
----	---------------

٢٢	ليس في الوجود ما يُحب لذاته ويُحمد لذاته إلا الله جل جلاله
٢٢	إذا أراد الله بالعبد خيراً
٢٣	أنفع الناس لك وأضرهم عليك
٢٣	فوائد متفرقة
٣٣	الفهرس